El Ake1 EL MOUDEN¹

**THE IMPACT OF SUNNI ISLAMIC SUFISM ON THE
CONSOLIDATION OF THE PRINCIPLE OF SOCIAL SOLIDARITY**

<http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.5-3.5>

Research Article

Received:

03/04/2021

Accepted:

22/04/2021

Published:

01/06/2021

This article has been
scanned by **iThenticat**
No plagiarism detected

Copyright © Published
by Rimak Journal,
www.rimakjournal.com

Rimar Academy, Fatih,
Istanbul, 34093 Turkey
All rights reserved

Abstract:

Islamic Sufism is considered a scientific and practical education of souls, a cure for diseases of the heart, a plantation of virtues, a rebellion of vices and a suppression of desires and a training in patience, contentment and obedience. In addition, it has had a great impact on strengthening spiritual ties between all cultural, social and tribal components. Sufism is also considered one of the most important characteristics in the religious field. This is due to the accumulation of educational assets in this field that have contributed very effectively to the formation of religious conscience and national social behavior, which cannot be erased or changed.

Sunni Islamic Sufism is a practical, not theoretical, and therefore realistic, and this realism means taking into account the reality of the universe in terms of its reality. The Sufi's observance of this realism makes him fully connected with the society in which he lives. On the other hand, the constant of Sunni Sufism works to consolidate the values of peace and social cohesion. Furthermore, the general experiences show us that men of Sufism who involve themselves in peace can more than others contribute to spreading and strengthening peace in their surroundings, just as Sufis believe in the reality of intellectual difference whether between persons or between nations and they deal in cooperation and acquaintance.

This article aims to define the role of Sunni Sufism in establishing of the principle of social cohesion. It also shows the reality of Sunni Sufism, its interest in social justice and its focus on the principle of tolerance and the right to difference.

Key words: Suni Sufism; The moderation of Sufi Thought; Realism of Sufism; Sufis and Society; Tolerance; Right to Difference.

¹ Researcher, Abdelmalek Essaadi University, Morocco, Akel.mouden@gmail.com, <https://orcid.org/0000-0002-6418-9127>

أثر التصوف الإسلامي السني في ترسيخ مبدأ التماسك الاجتماعي

العاقل المودن²

الملخص

يعتبر التصوف الإسلامي تربية علمية وعملية للنفوس، وعلاجاً لأمراض القلوب، فهو يساعد على غرس الفضائل، والإقلاع عن الرذائل، وقمع الشهوات، والتدريب على الصبر والرضا والطاعات، وقد كان له الأثر البالغ في تمتين الروابط الروحية، بين جميع المكونات الثقافية والاجتماعية والقبليّة.

كما يتميز التصوف بأهم الخصائص في المجال الديني؛ وكذلك لما تراكم في هذا المجال من رصيد تربوي، أسهم بصورة فعالة جداً، في تشكيل الوجدان الديني، والسلوك الاجتماعي الوطني؛ بما لا يمكن محوه أو تغييره.

إن التصوف السني الإسلامي هو تصوف عملي لا نظري وبالتالي فهو واقعي، وهذه الواقعية تعني مراعاة واقع الكون من حيث هي واقعة، فمراعاة الصوفي لهذه الواقعية تجعله مرتبطاً تمام الارتباط بالمجتمع الذي يعيش فيه.

من جهة أخرى يعمل التصوف السني على ترسيخ قيم السلم والسلام والتماسك الاجتماعي، وتبين لنا التجارب العامة أن رجال التصوف والسلوك تنطوي أنفسهم على السلم وحب السلام، ويستطيعون أكثر من غيرهم الإسهام في نشر السلام وتعزيزه في محيطهم الذي يعيشون فيه، كما يؤمن الصوفيون بحقيقة الاختلاف الفكري سواء بين الأشخاص أو بين الأمم ويتعاملون بالتعاون والتعارف.

يهدف هذا المقال إلى تحديد دور التصوف السني في ترسيخ مبدأ التماسك الاجتماعي، كما يبين أيضاً واقعية التصوف السني واهتمامه بالعدالة الاجتماعية وتركيزه على مبدأ التسامح والحق في الاختلاف.

الكلمات المفتاحية: التصوف السني؛ وسطية الفكر الصوفي؛ واقعية التصوف؛ التصوف والمجتمع؛ التسامح والحق في الاختلاف.

المقدمة:

إن قضايا التصوف تعتبر من المسائل الضرورية التي يجب على المسلم العناية بها حتى تحميه من الضلال، فالتصوف الإسلامي هو تصفية القلب عن الأحقاد والابتعاد عن الرذائل واكتساب الأخلاق الحسنة، فهو بمرتبة الإحسان الذي هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك ولهذا نجد الإمام ابن عاشر رحمه الله تعالى يقول في نظمه المبارك.

وأما الإحسان فقال من دراه أن تعبد الله كأنك تراه

إن لم تكن تراه إنه يراك والدين ذي الثلاث خذ أقوى عراك

وانطلاقاً من أهمية هذا الموضوع في حياة الفرد والجماعة، سأشارك بهذا البحث تحت عنوان: أثر التصوف الإسلامي السني في ترسيخ مبدأ التماسك الاجتماعي.

إشكالية البحث: إن الإشكالية تكمن في السؤال التالي:

كيف يمكن أن يؤثر التصوف السني في ترسيخ مبدأ التماسك الاجتماعي ؟
القيمة العلمية للبحث: تكمن القيمة العلمية للبحث من خلال ما يلي:

- يمكن أن يساهم هذا البحث في إغناء المحتوى العلمي الاجتماعي الذي يتعلق بمسألة التكافل الاجتماعي ودورها في توجيه السلوك الإنساني.
- تزويد المهتم بقضايا التصوف والمجتمع بزيادة معرفي يسترشد به عند القيام ببحوث أكثر عمقا للرفع من القيمة الاجتماعية للإنسان.

² الباحث، جامعة عبدالمالك السعدي ببطوان، العراق، Akel.mouden@gmail.com

المنهج المعتمد:

المنهج الذي ساعتمد عليه في هذا البحث هو المنهج الوظيفي الذي يهتم بدراسة وظائف القضايا العلمية، وإبراز العلاقات التأثيرية أو التأثرية أو كليهما معا.

محاوّر البحث:

يتكون البحث من العناصر التالية:

- مقدمة

الفصل الأول: نشأة التصوف ومصادره ومراحل تطوره

- المبحث الأول: دلالة مفهوم التصوف
- المبحث الثاني: نشأة التصوف
- المبحث الثالث: نظرة إجمالية إلى مراحل تطور التصوف

الفصل الثاني: خصائص التصوف السني

- المبحث الأول: العبادة والمجاهدة
- المبحث الثاني: العلم والعمل
- المبحث الثالث: السعي والتوكل

الفصل الثالث: التصوف السني ودوره في ترسيخ مبدأ التماسك الاجتماعي

- المبحث الأول: وسطية الفكر الصوفي السني واهتمامه بالعدالة الاجتماعية
- المبحث الثاني: واقعية التصوف السني وارتباطه بالمجتمع
- المبحث الثالث: تركيز التصوف السني على مبدأ التسامح والحق في الاختلاف

الخاتمة:

الفصل الأول: نشأة التصوف ومصادره ومراحل تطوره**المبحث الأول: دلالة مفهوم التصوف**

التصوف هو اصطلاح أطلق اتباع الطريق المطهرة للنفس، والتي ترتقي بالروح إلى خالقها وذلك عن طريق اتباع الشريعة على نفس آثار أهلها وأقطابها، كما أطلق نفس الاصطلاح على شعائر ومظاهر هذا الطريق وعلى أهل هذا الطريق. وأما لفظ الصوفي يرى الكلاباذي ت 380هـ في كتابه التعرف لمذهب أهل التصوف، أن الباحثين اختلفوا في تفسير التصوف، فطائفة قالت: إنهم سمو صوفية لصفاء أسرارهم ونقاء آثارهم، وقال بشر بن الحارث: الصوفي من صفا قلبه لله، وقال بعضهم: الصوفي من صفت لله معاملته، فصفت له من الله عز وجل كرامته، وذهب آخرون إلى أنهم سمو صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع همهم إليه وإقبالهم بقلوبهم عليه ووقوفهم بسرائرهم بين يديه، وذهب آخرون إنما سمو صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم إنما سمو صوفية للبسم الصوف، ويرى الكلاباذي أن من نسبهم إلى الصفة والصوف فإنه عبر عن ظاهر أحوالهم، وذلك أنهم قوم تركوا الدنيا فخرجوا من بلادهم وهجروا أصدقائهم وساحوا في البلاد وأجاعوا أكبادهم وأعروا أجسادهم ولم يأخذوا من الدنيا إلا ما لا يجوز تركه من ستر عورة وسد جوعة. (نشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، الجزء الثالث، 2008م)

ويضيف سامي نشار في كتابه الفكر الإسلامي والفلسفة أن التصوف هو الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دنيء، وبعضهم عرفه بأحوال المتمكنين فيه والواصلين على غايته كقول الجنيد: التصوف أن يملك الحق عنك ويحييك به. (نشار، الفكر الإسلامي والفلسفة، 1979م)

وخلاصة القول يمكن أن نقول إن التصوف ركن من أركان الدين الذي يعبر عنه بأنه هو الإحسان الذي هو شريك الإسلام والإيمان في أركان الدين، وهذا في حديث جبريل المعروف الذي رواه عبدالله بن عمر حيث قال: "حدثني أبي عمر بن الخطاب، قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا» قال: صدقت، قال: فعبجنا له، يسأله ويصدق، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال صدقت، قال فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل،

قال فأخبرني عن أمارتها؟ قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة، العالة، رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، قال: ثم انطلق، فلبثت مليا، ثم قال: لي يا عمر أندري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم." (النيسابوري، 2006م)

المبحث الثاني: نشأة التصوف ومصادره

إذا كانت الحضارة الإسلامية قد قدمت لنا مجموعة من المتكلمين والفلاسفة فإنها قد قدمت لنا أيضا نمطا آخر من المفكرين، ويختلف المسلك الذي يتبعونه عن المسلك الذي سار فيه مُتَكَلِّمُوا المسلمين وفلاسفتهم، هذا المسلك يعد مسلكا يقوم على التجربة الباطنية الداخلية القلبية، ويختلف عن ذلك المسلك الجدلي أو المسلك العقلي الذي اختاره وسار فيه المتكلمون والفلاسفة. فأقوال الصوفية تعتمد على تجاربهم الخاصة، ولهذا كانت طريقتهم طريقة فردية ذوقية روحية، ولقد أثار التصوف الإسلامي انتباه العلماء الأوروبيين منذ القرن التاسع عشر، من مستشرقين، وعلماء تاريخ الأديان، وعلماء الاجتماع، ثم علماء النفس وغيرهم، مما أدى إلى اهتمام مناهج هذه العلوم بدراسة التصوف، وقد نشأ عن تطبيق هذه المناهج إلى ظهور مدارس التي بجمليتها لم تحاول وضع المسألة في وضعها الصحيح، وأن تلتبس أصله في الوسط الإسلامي والبيئة الإسلامية، ومما لا شك فيه أن بعض هؤلاء الباحثين كانت لديهم إلى حد ما بعض الحيدة العلمية، ولكن طغى عليهم تفكير سابق وعقائد سابقة، لم يكن منهج البحث نظيفاً، ومع أن عالمين وهما نيكسون وماسنيون قد عادا في كثير من أبحاثهما إلى محاولة تتبع مصادر التصوف في القرآن والسنة، فالأبحاث التي قامت بها المدارس الأوروبية في دراسة التصوف الإسلامي اتجهت إلى تتبع مصادر التصوف في مختلف الثقافات التي أحاطت بالمسلمين، ولكنها تجنبت أو لم تحاول النفاذ إلى أعماق المسألة، فالمدرسة الألمانية حاولت من خلال تحليلها للتصوف أن تبحث عن أصله في البوذية، والمدرسة الإنجليزية حاولت أن تلتبس أصول التصوف في المسيحية وفي الأفلاطونية المحدثة، وحاولت المدرسة الفرنسية التي تبحث عن أصله في المسيحية. (نشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام الجزء الثالث، 2008م).

ويذكر فضيلة الشيخ الاستاذ الحسن بن الصديق: وهي هذا المعنى أي أصل التصوف ونشأته، قال الوالد رحمه الله تعالى في جواب له عن أول من أسس الطريقة، وهل كان تأسيسها بوحى؟ فاعلم أن الطريقة أسسها الوحي في جملة ما أسس من الدين المحمدي، إذ هي بلا شك مقام الإحسان الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة، ومن أجل بمقام الإحسان الذي هو الطريقة فدينه ناقص (الصديق ع، 2013م)

ويضيف سامي نشار (نشار، الفكر الإسلامي والفلسفة، 1979م) أن مصادر التصوف ترجع إلى العوامل الآتية:

- تجربة الإنسان المسلم مع الوحي الذي يشجع على الاستقامة والتقوى.
- الأحداث السياسية والاضطرابات الاجتماعية وظهور تيارات ومذاهب إسلامية التي دفعت بالزهاد الأوائل إلى الابتعاد عن المشاركة في الحياة الاجتماعية والسياسية.
- انفتاح المسلمين على الثقافات الأخرى.

والذي يجب الجزم به هو أن التصوف اسم طارئ على الإسلام ناشئ في الملة حادث فيها، وإنه من الثابت أن كلمة التصوف استخدمت إما في أواخر القرن الثاني الهجري وإما في بدء القرن الثالث الهجري، أما حركة الزهد فقد وجدت في الجاهلية كما وجدت في أيام الأمويين.

فلماذا لا نبحث في التصوف بشكل موضوعي، ونخلص إلى القول، فنقول: إن الزهد نشأ في المجتمع الإسلامي مستندا على القرآن والسنة كما نشأ في مجتمع آخر، ثم مضى في طريقه إسلامياً.

المبحث الثالث: نظرة إجمالية إلى مراحل تطور التصوف

بعد أن حددنا مفهوم التصوف في الإسلام بوجه عام يَحْسُن أن نشير إلى مراحل تطوره بإيجاز. والمرحلة الأولى في نشأة التصوف هي التي تُسمى بمرحلة الزُّهد وهي واقعة في القرنين الأول والثاني الهجريين، وقد كان هناك أفراد من المسلمين أقبلوا على العبادة وكانت لهم طريقة زُهدية في الحياة تتصل بالمأكل والملبس والمسكن، وقد أرادوا العمل من أجل الآخرة فأثروا لأنفسهم هذا النوع من الحياة والسلوك، ونضرب مثلاً: الحسن البصري 110هـ ورابعة العدوية 185هـ.

نخلص إلى أن رابعة العدوية كانت تمثل في القرن الثاني الهجري تيار الزُّهد القائم على أساس حب الله تعالى على حين كان الحسن البصري أبرز من مثّل الزهد القائم على الخوف، ويضاف إلى ما تقدم أن رابعة قد تكلمت في كثير من المعاني الصوفية الدقيقة في غير موضوع الحب كالكلال في الزهد والحزن والخوف والتواضع والتوبة والرضى وغير ذلك، لذلك كانت في الحقيقة نقطة تحول هامة من الزهد الإسلامي الممهّد لظهور التصوف، ولقد تميز التصوف خلال هذا القرن الثاني بطابعه السلوكي الذي يقوم على مُجاهدة النفس، وإنه لَمَن الصعوبة بمكان تحديد فواصل زمنية دقيقة بين حركتي الزهد والتصوف، ويمكن القول: بأن القرن الثاني هو بداية تكون التصوف بمعناه الدقيق حيث أصبح طريقة للمعرفة بعد أن كان طريقة للعبادة، وإلى هذا يشير أبو الوفا الغنيمي، ومنذ القرن الثالث للهجرة نجد الصوفية قد عنوا بالكلام في

دقائق أحوال النفس والسلوك وغلب عليهم الطابع الأخلاقي في علمهم وأعمالهم فصار التصوف على أيديهم علما للأخلاق الدينية، وكانت مباحثهم الأخلاقية تدفعهم إلى التعمق في دراسة النفس الإنسانية ودقائق أحوال سلوكها، وكانت تقودهم أحيانا إلى الكلام في المعرفة الذوقية، وإلى الكلام عن الذات الإلهية من حيث صلتها بالإنسان وصلة الإنسان بها، وظهر الكلام في الفناء الصوفي خصوصا على يد البسطامي، ونشأ من ذلك كله علم للصوفية يتميز عن علم الفقه، وكان هناك في القرنين الثالث والرابع الهجريين بعض شيوخ التصوف كالجنيد 298هـ، والسري السقطي ت 251 هـ والخراز ت 259 هـ يجمعون حولهم المريدين من أجل تربيته، فتكونت لأول مرة الطرق الصوفية في الإسلام وكان هناك أيضا في القرن الثالث نوع من التصوف يمثلته الخلج، الذي أعدم لمقالته في الحلو، ثم جاء الإمام الغزالي ت 505 هـ في القرن الخامس الهجري فلم يقبل من التصوف إلا ما كان متمشيا تماما مع الكتاب والسنة وراميا إلى الزهد والتقشف، ومنذ القرن السادس أخذ نفوذ التصوف السني في العالم الإسلامي يزداد بتأثير عظم شخصية الغزالي. وظهر صوفية كبار كونوا لأنفسهم طرقا لتربية المريدين، منهم: السيد أحمد الرفاعي ت 580 هـ، والسيد عبد القادر الجيلاني ت 651 هـ، ثم ظهر في القرن السابع الهجري شيوخ أبرزهم: أبو الحسن الشاذلي ت 656 هـ، وتلميذه أبو العباس المرسي ت 686 هـ، وتلميذهما أبو ابن عطاء الله السكندري ت 709 هـ، وهم أركان المدرسة الشاذلية في التصوف، ويعتبر تصوفهم امتدادا لتصوف الغزالي السني. على أنه منذ القرن التاسع الهجري نجد مجموعة من شيوخ التصوف الذين مزجوا تصوفهم بالفلسفة، من هؤلاء: السهروردي المقتول صاحب حكمة الإشراق ت 549 هـ، والشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي ت 638 هـ، وسلطان العاشقين الشاعر عمر بن الفارض ت 632 هـ، وعبد الحق بن سبعين المرسي ت 669 هـ. (التفتازاني)

الفصل الثاني: خصائص التصوف السني

المبحث الأول: العبادة والمجاهدة

إن العبادة والمجاهدة مفهومان محوريان في التراث الإسلامي الصوفي، بحيث إن المجاهدة كمفهوم عند الزهاد الأوائل تطور من الميل إلى الزهد وكثرة التعبد ليصبح بمثابة سلوك (القرضاوي، 2008م) حَسَبَ ابن خلدون لتقويم النفس وحملها على التوسط في جميع أخلاقها حتى تتهدب بذلك فتَحْسُنَ أخلاقها وتَصُدُرَ عنها أفعال الخير بسهولة، وتصير لها آداب القرآن والنوّة بالرياضة والتهذيب. فالعبادات (خلدون، 1996م) هي المقوم الثاني للمجتمع المسلم بعد العقيدة وهي شعائر فرضها الله تعالى على المسلمين، وكلفهم بالقيام بها ليتقربوا بها إلى الله، ويتغوا بها رضوانه، وأظهر هذه الشعائر هي الفرائض الأربع التي عُرِفَتْ بأنها مع الشهاداتتين. والتعبد (الحاج، 2011م) هو مراقبته العبد ربّه في إتمام الخضوع والخشوع والإخلاص له في جميع الأحوال. وأمّا المُجاهدة (الجزائري، 1992م) فهي جهاد النفس، ويكون بحملها على أن تتعلم أمور الدين وتعمل بها ويصرفها عن هواها ومقاومة رغباتها. ومجاهدة للنفس (الحاج، 2011م) مقاتلتها في رَدِّها عن هواها من ترك المأمورات وفعل المنهيات إلى ما طُلِبَ منها من عكس ذلك. فإذا جوهِدَت النفس وقوتلت بهذه المقاتلات رجعت عن جميع مألوفاتها وزال عنها الاستكبار ودانت لمولائها بالعبودية والافتقار. يتضح إذن أن رجال الصوفية يرغبون في حمل أنفسهم على خلاف هواها وإلزامها بتطبيق شرع الله، والانتقال بها من السيئ إلى الحسن ومن الحسن إلى الأحسن، في مراتب ومقامات متدرجة بالتدريب، وذلك للارتقاء بالنفس عبر نقد عيوبها وتطهيرها باعتبار أن إصلاح النفس الإنسانية ومخالفة هواها مدخل للاستقامة والتحلي بالأخلاق الرفيعة.

المبحث الثاني: العلم والعمل

إن العلم والعمل من منظور التصوف السني شيان متلازمان لا ينفصلان عن بعضهما البعض، والعلم حسب أهل التصوف هو علم الحقائق الذوقية في مقابل العلوم الشرعية أو ما يسمى بعلم القلوب الذي يوصل صاحبه إلى معرفة الله بلا واسطة، والذي يجب التنبيه إليه (المغربية، 1986م) أن دعوة الإسلام إلى العلم والعمل من الحقائق الدينية التي جهلناها، فأدى جهلنا بها إلى تأخرنا، فالإسلام يدعو إلى:

أ: العلم الديني والعلم الدنيوي،

ب. العمل: إن كُتِبَ الحديث مليئة بالحث على العمل والثناء على العاملين، منها قول النبي صلى الله عليه وسلم "إن أشرف المَكْسَبِ كسب الرجل من يده" رواه الإمام أحمد. وكما أن العلم الذي يدعو إليه الدين ليس خاصا بالعلوم الدينية فكذلك العمل الذي يأمرنا به الإسلام ليس خاصا بالآخرة بل يشمل العمل بنوعيه. العمل للآخرة، من صلاة وصيام وزكاة وحج وعمل الدنيا: من فلاحه وصناعة وتجارة وغير ذلك من الأعمال الدنيوية، بشرط إتقان العمل والاستقامة في المعاملات مع الناس. والإسلام يعتبر العمل الدنيوي نوعا من العبادة، وهذا هو السبيل للتدريج في مدارج الرقي الصوفي.

المبحث الثالث: السعي والتوكل

إذا تصفّحنا بعض التأليفات التي اهتمت بشأن التصوف، كتأليف القُشَيْرِي وغيره، نجدها تذكر أن هناك عددا من مشايخ الصوفية تركوا الأسباب وطلب الرزق والتكسب بدعوى التوكل على الله، فصار هناك خلط بين التوكل والتوكل.

والتوكل على الله صفة من صفات المؤمنين الصادقين ومظهر من مظاهر الإيمان الكامل يدل على تمام إيمان المتوكل على الله، وصفاء عقيدته وحسن صلته بربه. والتوكل لازمة من لوازم المسلمين لا يتم إيمانهم إلا ب، فهو لا يتعارض مع الأخذ بالأسباب أسباب العمل والقيام بالواجبات، وإنما هو إيمان عميق بهذه الصلة الوثيقة بينهما فلا يتحقق التوكل في أمر من الأمور إلا إذا رافقه سعي واجتهاد وعمل، وهذا هو ما ذهب إليه جل العلماء في فهمهم للتوكل والسعي الذين عرفوا التوكل بأنه تفويض الأمر إلى الله والاعتماد عليه في جميع الأحوال، ولهذا لا تعارض بين التوكل على الله تعالى وبين السعي والعمل واتخاذ الأسباب. والذي يجب التنبيه إليه هو أن متبوءة السنة يتفقون مع ما ذهب إليه العلماء.

ويوضح ابن حمدون في حاشيته التوكل (الحاج، 2011م) فيقول: والتوكل على الله سبحانه وتعالى في جميع أموره، أي الدنيوية والأخروية له ثلاث مراتب كما في تفسير ابن جزي:

- أولاً: أن يعتمد العبد على ربه كما يعتمد الإنسان على وكيله المأمون عنده الذي لا يشك في قيامه بمصالحه والنصيحة له.

- ثانياً: أن يكون العبد مع ربه كالطفل مع أمه فإنه لا يعرف سواها ولا يلجأ إلا إليها.

- ثالثاً: أن يكون العبد مع ربه كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف أراد، لا يكون له حركة ولا تدبير، قد أسلم بالكلية. وخلاصة القول: فهذه هي الحقائق العامة للتصوف السني، فهي بمثابة خارطة الطريق وبوصلة، والتي حاول أهل التصوف السني الالتزام بها قدر المستطاع حتى لا يخرجوا عما يعتقدونه العلماء وفقهاء السنة، إلا أن هذا التصوف السني قد وقع فيه غلو وهو ما حاول الجنيد تقويمه عبر وضع أساس نظري متكامل لمفهوم التصوف السني، وتبعه في هذا التأسيس والتنقيح أبو حامد الغزالي.

الفصل الثالث: التصوف السني ودوره في ترسيخ مبدأ التماسك الاجتماعي

المبحث الأول: وسطية الفكر الصوفي السني واهتمامه بالعدالة الاجتماعية

إن للإسلام خصائص عامة ومن بينها الوسطية، وهي قيمة أعلى من شأنها الدين الإسلامي، وذكر يوسف القرضاوي بأنها تعني التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، كالأطراف المتقابلة: الروحية والمادية، الواقعية والمثالية (القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام)، فالفكر الصوفي الإسلامي السني وسطي بطبعه يوازن بين ما هو روحي وما هو 1مادي بلا شطط ولا غلو، وباستحضار أهل التصوف لهذا التصور فإنهم يدركون، كما ذكر صاحب كتاب العدالة الاجتماعية في الإسلام، "أن طبيعة نظرة الإسلام إلى الحياة الإنسانية تجعل العدالة الاجتماعية عدالة إنسانية شاملة لكل مقومات الحياة الإنسانية، ولا تقف عند الماديات والاقتصاديات، وأن القيم في هذه الحياة مادية معنوية في الوقت ذاته، وأن الإنسانية وحدة متكافئة" (قطب، 1995م) وبالتالي تجد الصوفي يتبنى هذه النظرة الكلية البعيدة الأهداف إلى العدالة الاجتماعية، فهو يفهم حق الفهم نظام الملكية الفردية، ونظام الإرث، ونظام الزكاة، وما يحققه من إيجابيات كثيرة داخل المجتمع.

المبحث الثاني: واقعية التصوف السني وارتباطه بالمجتمع

إن التصوف السني الإسلامي هو تصوف عملي لا نظري وبالتالي فهو واقعي، وهذه الواقعية تعني مراعاة واقع الكون من حيث هي واقعة، ووجود مشاهد، ولكنه يدل على حقيقة أكبر من كل شيء، وهي وجود الواجب لذاته، وهو وجود الله سبحانه وتعالى. (القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام) فمراعاة الصوفي لهذه الواقعية تجعله مرتبطاً بتمام الارتباط بالمجتمع الذي يعيش فيه، باعتبار أن المجتمع كما ذكر صاحب كتاب المجتمع الإسلامي أن "المجتمع الإسلامي هو ذلك المجتمع الذي تميز عن المجتمعات الأخرى بنظمه الخاصة، وقوانينه القرآنية، وأفراده الذين يشتركون في عقيدة واحدة، ويتوجهون إلى قبلة واحدة، ولهذا المجتمع وإن تكون من أقوام متعددة خصائص مشتركة" (المصري، 1980م)، فالصوفي تجده دائماً مرتبطاً بمجتمعه يحافظ على وحدته، مبعداً من فكره كل أشكال العزلة، والعصبية، ومشجعاً على التماسك.

المبحث الثالث: تركيز التصوف السني على التسامح والحق في الاختلاف

لقد جاء الإسلام وشجع على التسامح، باعتباره من القيم الإسلامية التي بالتشبع بها يساهم المرء في بناء صرح الحضارة الإنسانية، والتسامح كما ذكر الدكتور شوقي أبو خليل "هو الصفح والعفو والإحسان، والذي يقابله التعنت والتعصب والتطرف والغلو، فهي نظرة إنسانية لا يمتلكها إلا الإسلام، فمن خصائص الحضارة الإسلامية أنها لا تحكم بالإعدام على الثقافات الأخرى، وأن الحوار هو البديل، وأن التعددية في الثقافة ثراء للفكر" (خليل) كما أن الإسلام يحترم حق الإنسان في التفكير ويجعله حراً في أن يفكر على الطريقة التي يريد والتي يراها نافعة، ويمنع التدخل في توجيه أفكاره للضغط عليه ليعتقد مثل ما نعتقد أو يفكر كما نفكر، فرجال التصوف يؤمنون بحقيقة الاختلاف الفكري سواء بين الأشخاص أو بين الأمم ويتعاملون بالتعاون والتعارف، مع العلم، كما ذكر طه عبد الرحمن، أن الاختلاف الفكري ليس درجة واحدة بل ينقسم إلى ثلاثة أقسام وهي: الاختلاف في المفاهيم، والاختلاف في الأحكام، والاختلاف في القيم (عبدالرحمان، 2005م)، وبهذا يتبين أن أهل التصوف يرفعون شعار التسامح مع احترام الآخر المخالف لرأيه ولعقيدته، فهم يدعون إلى العمل بإيجابية فيما هو مشترك بين الإنسانية جمعاء.

الخاتمة:**أولاً: النتائج:**

- يقدم البحث صورة للقارئ عن التصوف بشكل واضح وجلي.
- يقدم البحث طريقة ومنهج رجال التصوف وهو يتناولون التصوف انطلاقاً من الممارسة.
- يقدم البحث أهمية التصوف ويبين منزلته وضرورة البحث في قضاياها.

ثانياً: التوصيات

- أوصي نفسي وطلبة العلم إلى تعلم التصوف التربوي العملي السني وتعليمه.
- المزيد من الاهتمام بقضايا التصوف السني لما له من الأهداف التي تتعلق بالأمن الروحي والوجداني ومن ثم مجالات الشخصية الإنسانية برمتها.
- أوصي القائمين على المناهج التربوية الأخذ بعين الاعتبار لمادة التصوف وذلك بتدريسها بشكل مستقل وليست مدمجة في مكونات التربية الإسلامية.

المراجع:**1 - نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام لعلي سامي نشر الجزء الثالث**

- الطبعة الأولى 2008م دار السلام
- الفكر الإسلامي والفلسفة لعلي سامي نشر، مقرر وزارة التربية الوطنية لسنة 1979م
- صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل
- إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت 261هـ، وفي طبعته الانتهاج لمقتفي أسانيد كتاب مسلم بن الحجاج للعلامة السيد محمد بن محمد مرتضى الزبيدي ت 1205 هـ، دار طبعة، الطبعة الأولى 1427هـ-2006م،
- محاضرات علي بن الصديق بكلية أصول الدين 2013م
- مدخل إلى التصوف الإسلامي لأبي الوفا الغنيمي التفتازي
- ملاحم المجتمع الذي ننشده ليوسف القرضاوي الطبعة الرابعة 2008م
- مكتبة وهبة
- شفاء السائل وتهذيب المسائل لابن خلدون تحقيق الدكتور محمد مطيع الحافظ
- الطبعة الأولى 1996م دار الفكر بيروت
- حاشية أبي عبد الله محمد الطالب ابن سيدي حمدون بن الحاج عل شرح محمد بن أحمد الفاسي الشهير بميارة على المنظومة المسماة بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين طبعة 2011م دار الرشاد الحديثة
- منهاج المسلم لأبي بكر جابر الجزائري، طبعة 1992م دار الفكر
- حاشية أبي عبد الله محمد الطالب ابن سيدي حمدون بن الحاج عل شرح محمد بن أحمد الفاسي الشهير بميارة على المنظومة المسماة بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين، طبعة 2011م دار الرشاد الحديثة
- التربية الإسلامية لأقسام السنة الرابعة من التعليم الثانوي، المملكة المغربية وزارة التربية الوطنية دار الثقافة طبعة 1986م
- الخصائص العامة للإسلام، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة
- العدالة الاجتماعية في الإسلام، سيد قطب دار الشروق، 1415هـ/1995م
- المجتمع الإسلامي، الدكتور محمد أمين المصري، دار الأرقم الكويت، الطبعة الأولى 1400هـ-1980م
- التسامح في الإسلام: المبدأ والتطبيق، الدكتور شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر بيروت
- الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، طه عبد الرحمن، الطبعة الأولى 2005م
- المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء